

أنه حضر مجلسك بعضُ الأولياء، فسألني فيك فشققته لعذبتك. قال: فعاش أياماً، ومات.

وكانت وفاة بهاء الدين ليلة الخميس رابع وعشرين ذي الحجة، ودُفِنَ يوم الخميس بالقرافة، [وحملت جنازته على الأصابع، ودفن]^(١) قريباً من روزبهان.

السنة الخمسون وست مئة

فيها وصل التتر إلى الجزيرة، ونهبوا ديار بكر وميافارقين، وجاؤوا إلى رأس عين وسروج وغيرها، وقتلوا زيادةً على عشرة آلاف، وصادفوا قافلةً خرجت من حرّان تقصد بغداد بين رأس عين وحرّان، فأخذوا منها أموالاً عظيمة، منها ست مئة حمل سُكَّر ومعمول مصر، وست مئة ألف دينار، وقتلوا الشيوخ والعجائز، وساقوا من النساء والصبيان ما أرادوا، ورجعوا إلى خِلاط، وقَطَعَ أهلُ الشرق الفرات، وخاض الناس في القتلى من دُنَيْسِر إلى الفرات، [وحكى لي]^(١) بعضُ التجار [قال]^(١): عدت على جسرٍ بين حرّان ورأس عين في مكانٍ واحدٍ ثلاث مئة وثمانين قتيلًا. وحجَّ النَّاسُ من بغداد بعد عشر سنين بَطَلَ الحجُّ فيها؛ منذ مات المستنصر وإلى هذه السنة. وفيها توفي

شمس الدين محمد بن سَعْد، الكاتب المقدسي^(٢)

نشأ بقاسيون على الخير والصّلاح، وقرأ القرآن والنحو والعربية، وسمع الحديث الكثير، وكان مكيماً دِيناً، وبرَّعَ في علم الأدب، وحُسِنَ الحَظُّ، وكتب للصّالح إسماعيل والنّاصر داود، وكان دِيناً، فاضلاً شاعراً، [وأنشدني قصيدة، وكتبها لي بخطه لما تفاقم ظلم السامري ونوابه، وكتب بها إلى الصّالح إسماعيل، ولو كتبت بماء الذهب على الأحداق لكان ذلك أقل من القليل، وهي هذه الأبيات]: [من البسيط]

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «الوفائي بالوفيات»: ٩١-٩٢، و«عيون التواريخ»: ٦٧/٢، و«وفات الوفيات»: ٣/٣٥٨، و«نزهة الأنام»: ٢١٤-٢١٥، و«النجوم الزاهرة»: ٢٦-٢٧، و«شذرات الذهب»: ٥/٢٥٣.

(٣) في (ت): ومن شعره وكتب بها إلى الصّالح إسماعيل، وما بين حاصرتين من (ش).

بُداً وفيها دمي أخشاه منسفا
 يخاف كُفرانها إن كُفَّ أو تُركا
 على رعيته من ظلمه شَبكا
 مستغرباً من بوادي أمره ضحكا
 قاضي القضاة ووالي حربيه ابن بكا
 أهل المشورة فيها ضاق أو ضنكا
 والشَّرعُ قد مات والإسلامُ قد هلكا
 وإنما يرقبون النَّجمَ والفلكا
 من همه عزله عنه ومن فركا
 من البطانة فيما يبتغي شُركا
 وصيِّروك لهم في صيدهم شُركا
 أو كان شراً وأمراً سيئاً فلكا
 ما مان في قوله خُرْقاً ولا أفكا
 تلقَّ الرِّشادَ وإن أصررت منهما
 فيهم وفيك إذا ما سيَّرتهم هُتكا
 [قلت: يرحم الله قائلها، فقد كان ينظر من ستر رفيع، وهذا من جملة التوفيق، وأما
 ابن غزال فهو السامري، و] ^(١) ثعلب وفضيل منجمان كانا قد استوليا على الصَّالح
 إسماعيل]، وحسنا له كل فعل قبيح شنيع رذيل، فما نفعتهم النجوم، وأبادهم الحيُّ
 القيوم، وكانت وفاته] ^(١) في صفر، ودفن بقاسيون قريباً من الشيخ أبي عمر.

جمال الدين بن مطروح ^(٢)

كان فاضلاً، كَيْساً، شاعراً، ومن شعره لما فتح النَّاصر داود بُرْج داود بالقدس
 وأخبره، وأخرج الفرنج منه: [من السريع]

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٢٥٨-٢٦٦، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/٢٧٣-٢٧٤، وعندها وفاته سنة (٦٤٩هـ)،
 وهو الصحيح في وفاته، لأن ابن خلكان شهد جنازته، انظر تنمة مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين»: ١٠١/٢.

المسجد الأقصى له عادةً سارث فصارث مثلاً سائرا
 إذا غدا للكفر مستوطنناً أن يبعث الله له ناصرا
 فناصر طهره أولاً وناصر طهره آخراً
 [ومن شعر أيضاً ﷺ:

لا عاش الغزال ولا بقي

وهو شعر ركيك^(١).

وتوفي في شعبان بمصر، ودفن بسارية في القرافة، وكانت له جنازة عظيمة، وكان قد دخل بين الخوارزمية والصالح أيوب، واستنابه أيوب بالشام، ولبس ثياب الجند، وما كانت تليق به، وغضب عليه، ودحضه، وأعرض عنه إلى أن مات.

ولما وصل تورانشاه [إلى ديار مصر]^(١) أعرض عنه بالكُلية، فأقام حاملاً إلى أن مات، فرحمه الله، لقد كان جواداً، ذا مروءة، متعصباً، سَمحاً حليماً، حسن النظر بالفقراء، عارفاً بفضل العلماء.

السنة الحادية والخمسون وست مئة

فيها دخل نجم الدين الباذرائي بين العسكرين، وتولى إصلاح الفريقين، وكانت الحرب قد صرست الجمعين، [وخصوصاً عسكر الشام، والله تعالى يؤيد الإسلام، ويجري أموره على أحسن نظام]^(١)، وقدم ابن الباذرائي والنظام بن المولى القاهرة، وحلفوا الملك والأمراء، وخلصوا المعظم، وأخاه النصره، وابن صاحب حمص، والأمراء وغيرهم، وبنت الأشرف، وأولاد الصالح إسماعيل.

[وفيها توفي

القاضي صدر الدين الحنفي؛ قاضي آمد.

كان فاضلاً، عارفاً بالمذاهب، كيساً، لطيفاً، متعصباً، ذا مروءة، حسن الوجه، بشوشاً، وكانت وفاته في صفر بالقاهرة]^(١).

(١) ما بين حاصرتين من (ش).